

الإمتاع والمؤانسة

التوحيدي


الإمتاع والمؤانسة
التوحيدي



الإمتاع والمؤانسة

التوحيدي

PJ7750.A26 I48 2014
أبوحيان التوحيدي، علي بن محمد، ق. 10.
كتاب الإمتاع والمؤانسة/ للتوحيدي؛ إعداد: أحمد خريس.- ط. 1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2014.
ص. ؛ سم.-(سلسلة عيون النثر العربي القديم)
تدمك: 978 – 9948 – 17 – 352 – 6
1. الأدب العربي -- تاريخ ونقد. 2. الأدب العربي — مختارات. أ. خريس، أحمد، 1970 – ب. العنوان. ج. السلسلة.

إعداد:
أحمد خريس

خطوط:
الفنان التشكيلي الخطاط
محمد مندي





الطبعة الأولى 1435هـ 2014م

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380
publication@adach.ae
www.adach.ae

المقدمة

هذا مقتطفات من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، واسمه علي بن محمد بن العباس (414هـ)، وهو فيلسوفٌ متصوفٌ، وأديبٌ بارعٌ من أعلام القرن الرابع الهجري، ولد في بغداد لأسرةٍ فقيرةٍ، فعانى شَظَفَ العيش، ومرارَة الحرمان. دَرَس علوم القرآن والفقه والفلسفة والمنطق، وعلوم اللغة والبلاغة والعروض والشعر، وامتهن في شبابه حرفة الوراقة، التي زوَّدته بكم هائل من المعرفة جعلته مثقفاً موسوعيًّا.

وصفه ياقوت الحموي بقوله: «شيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة.. وإمام البلغاء». اتصل بكبار عصره ومتنفذيه؛ أمثال الصاحب بن عباد، والوزير المهلبي، وابن المعتمد، فلم يجد عندهم الحظوة والإكبار، وقد أقدم ـ بسبب الإحباطات الدائمة والإخفاقات المتواصلة ـ على إحراق كتبه احتجاجاً على مجتمعه، فلم يسلم منها غير ما نقل ونسخ قبل الإحراق؛ وهي:

1- البصائر والذخائر.

2- الصداقة والصديق.

3- أخلاق الوزيرين أو مثالب الوزيرين.

4- الهوامل والشوامل.

فضلاً عن كتابنا هذا، الذي يضم مسامرات سبعٍ وثلاثين ليلة قضاها التوحيدي في منادمة الوزير أبي عبد الله العارض، ولقد دوَّنها نزولاً عند رغبة صديقه أبي الوفاء المهندس، الذي طلب منه أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير، مذكِّراً إياه بفضله عليه بإيصاله بأبي عبد الله العارض، وتقريبه منه بعد عودته من عند الصاحب بن عباد، وما لاقاه لديه من صدٍّ وحرمان وجفاءٍ ومعاملةٍ سيئةٍ.

قسَّم التوحيدي كتابه إلى ليالٍ؛ فكان يدون في كل ليلة ما دار بينه وبين الوزير على طريقة (قال لي) و(سألني) و(قلت له) و(أجبته)، وكان الوزير هو من يقترح الموضوع دائماً، وأبو حيان يجيب عما اقترح، وكان الوزير يقترح موضوعاً حسبما اتفق وينتظر الإجابة، فإذا أجاب، أثارت إجابته أفكاراً ومسائل عند الوزير، فيستطرد إليها ويسأله عنها، وهكذا يستطرد من بابٍ إلى باب، حتى إذا انتهى المجلس كان يسأله الوزير أن يأتي بطرفة من الطرائف، يسميها غالباً (مُلحة الوداع)، فيقول الوزير مثلاً: «إن الليل قد دنا فجره، هات ملحة الوداع، وهذه تكون ـ عادة ـ نادرةً لطيفةً، أو أبياتاً رقيقةً، وأحياناً يقترح الوزير أن تكون ملحة الوداع شعراً بدويًّا، تُشمُّ منه رائحة الشيح والقيصوم».

وموضوعات الكتاب متنوعةٌ تنوعاً ظريفاً، وهي لا تخضع لترتيبٍ أو تبويبٍ، وإنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث، حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علمٍ وفنٍّ؛ من أدبٍ وفلسفةٍ وحيوانٍ وأخلاقٍ وطبيعةٍ وبلاغةٍ وتفسيرٍ وحديثٍ ولغةٍ وسياسةٍ، وتحليل شخصيات فلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه، وتصوير العادات وأحاديث المجالس وغير ذلك.

ويلقي الكتاب الضوء على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري؛ أي: في عصر الدولة البويهية؛ إذ يقف في تضاعيف حديثه على الشؤون الاجتماعية، فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم، كابن عباد وابن العميد وابن سعدان، ومحاسنهم ومساوئهم، ويعرض كذلك الحياة السياسية في الدولة، واصفاً حالة الناس، ومواقفهم من الأمراء، واضطراب أمورهم وأسبابه.

فوائد الحديث

ولفوائد الحديث ما صنَّف أبو زيد[1]؛ رسالةً لطيفةَ الحجم في المنْظَر، شريفةَ الفوائد في المخبر، تجمع أصناف ما يُقْتَبس من العلم والحكمة والتجربة في الأخبار والأحاديث، وقد أحصاها واستقصاها وأفاد بها، وهي حاضرة. فقال: احمِلها واكتبها، ولا تَمِلْ إلى البخل بها على عادة أصحابنا الغِثاث[2]. قلتُ: السمع والطاعة.

ثم رَويتُ أنّ عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه: قد قضيتُ الوَطَر من كلّ شيء، إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزُّهْر[3]، على التِّلال العُفْر.

وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز، قال: والله إني لأشتري من عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين. فقيل: يا أمير المؤمنين، أتقول هذا مع تحرِّيك وشدَّة تحفُّظك وتنزُّهك؟ فقال: أين يُذهب بكم؟ والله إني لأعود برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بألوفِ وألوفِ دنانيرَ، إنَّ في المحادثة تلقيحاً للعقول، وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهمِّ، وتنقيحاً للأدب.

قال: صدق هذا الإمام في هذا الوصف، إن فيه هذا كله.

قلت: وسمعت أبا سعيد السِّيرافي يقول: سمعت ابن السّرّاج يقول: دخلنا على ابن الروميِّ في مرضه الذي قضى فيه، فأنشدنا قوله:

ولقد سئمتُ مآربي

إلا الحديثَ فإنّه

فكأن أطيَبَها خبيثُ

مِثْلُ اسمِه أبداً حديثُ

وقال سليمان بن عبد الملك: قد ركبنا الفارِهَ[4]، وتبطَّنّا الحسناء، ولبسنا الليِّنَ، وأكلنا الطَّيب حتى أجَمْناه[5]، وما أنا اليوم إلى شيءٍ أحوج مني إلى جليسٍ يضع عني مؤونة التحفُّظ، ويحدِّثني بما لا يمجُّه السمع، ويَطرَب إليه القلب.

وهذا أيضاً حقٌّ؛ لأن النفس تَمَلُّ، كما أنَّ البدن يَكِلُّ، وكما أن البدن إذا كلَّ طلب الراحة، كذلك النفس إذا مَلَّت طلبت الرَّوْح، وكما لا بد للبدن أن يستمدَّ ويستفيد بالجَمام[6] الذاهب بالحركة الجالبة للنَّصَب والضجر، كذلك لا بدَّ للنفس من أن تطلب الرَّوْح عند تكاثف الملل الداعي إلى الحرج؛ فإن البَدَن

كثيفَ النّفْس، ولهذا يُرى بالعين، كما أنّ النفسَ لطيفة البدن، ولهذا لا توجد إلا بالعقل، والنفس صفاء البدن، والبدن كَدَرُ النفس.

فقال: أحسنت في هذه الروايات على هذه التوشيحات، وأعجبني ترحُّمُك على شيخك أبي سعيد، فما كلُّ أحد يسمح بهذا في مثل هذا المقام، وما كل أحد يأبه لهذا الفعل، هات ملحة الوداع حتى نفترق عنها، ثم نأخذ ليلة أُخرى في شجون الحديث.

ملحة الوداع

حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية؛ قال: رأيت جَحْظة قد دعا بنَّاءً ليبني له حائطاً، فحضر، فلما أمسى اقتضى البنَّاء الأجرةَ، فتماكَسا[7]؛ وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً، فقال جحظة: إنما عملت يا هذا نصفَ يوم، وتطلب عشرين درهماً؟ قال: أنت لا تدري، إنّي قد بنيت لك حائطاً يبقى مئة سنة. فبينما هما كذلك وَجَب[8] الحائطُ وسقط، فقال جحظة: هذا عملك الحَسَن؟ قال: فأردت أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك! فضحك، أضحك الله سنَّه.

في وصف بعض علماء عصره

أما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقُّهم نظراً، وأقعَرُهم[9] غوصاً، وأصفاهم فكراً، وأظفرهم بالدُّرر، وأوقفهم على الغُرر[10]، مع تقطع في العبارة، ولُكْنةٍ ناشئة من العُجمة، وقلة نظرٍ في الكتب، وفَرْط استبداد بالخاطر، وحُسن استنباط للعويص، وجرأة على تفسير الرمز، وبخلٍ بما عنده من هذا الكنز.

وأما ابن زُرْعة فهو حَسَن الترجمة، صحيحُ النقل، كثيرُ الرجوع إلى الكتب، محمود النقل إلى العربية، جيِّد الوفاء بكل ما جلّ من الفلسفة، ليس له في دقيقها منفذ، ولا له من لُغزها مَأْخذ، ولولا توزّع فكره في التجارة، ومحبته في الربح، وحرصه على الجمع، وشدَّته على المنع، لكانت قريحته تستجيب له، وغائمته[11] تَدُرُّ عليه، ولكنه مبدِّد مندِّد[12]، وحبُّ الدنيا يُعمي ويصم.

وأمّا ابن الخمار ففصيح، سَبْط الكلام، مديدُ النَّفَس، طويلُ العِنان، مَرْضيُّ النقل، كثير التدقيق، لكنه يخلط الدُّرَّة بالبعرة، ويفسد السمين بالغَثِّ، ويَرقعُ الجديد بالرَّثِّ، ويشين جميع ذلك بالزَّهوْ والصَّلَف، ويزيد في الرقم[13] والسَّوْم، فما يجديه من الفضل يرتجعه بالنقص، وما يعطيه باللُّطف يستردُّه بالعنف، وما يصفيه بالصواب يكدِّره بالإعجاب. ومع هذا يُصرع في كل شهر مرة أو مرتين.

وأما ابن السمح فلا ينزل بفِنائهم، ولا يسقى من إنائهم؛ لأنه دونهم في الحفظ والنقل والنظر والجَدَل، وهو بالمتِّبع أشبه، وإلى طريقة الدعيِّ أقرب، والذي يحطّه عن مراتبهم شيئان: أحدهما بلادةُ فهمه، والآخر حرصه على كسبه، فهو مستفرغٌ مُحَّ[14] البال، مأسور العقل، يأخذ الدانق والقيراط والحبة والطَّسُّوج[15] والفلس بالصرف والوزن والتطفيف، والقلب متى لم يُنَقَّ من دنس الدنيا لم يعبق بفوائح الحكمة، ولم يتفوَّح بِرَدْع[16] الفلسفة، ولم يقبل شعاع الأخلاق الطاهرة، المفضية إلى سعادة الآخرة.

وأما القُومَسيُّ أبو بكر فهو رجل حسنُ البلاغة، حلو الكناية، كثير الفِقَر العجيبة، جمَّاعةٌ للكتب الغريبة، محمود العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة، كثير التردد في الدراسةِ، إلا أنه غير نصيح في الحكمة؛ لأن قريحته ترابية، وفكرته سحابيَّة، فهو كالمقلِّد بين المحققين، والتابع للمتقدمين، مع حبٍّ للدنيا شديد، وحسد لأهل الفضل عتيد.

وأما مسكويه ففقير بين أغنياء، وعَيِي بين أنبياء.

حديث الخراساني

قال لي ليلةٍ أخرى: حدَّثني أبو الوفاء عنك حديث الخراساني، فأريد أن أسمعه منك. قلت: كنت قائماً عشيةً على زَنْبرية[17] الجسر في الجانب الشرقي والحاجُّ يدخلون، وجِمالهم قد سدَّت عرض الجسر، أنتظرِ جوازها وخفة الطريق منها، فرأيت شيخاً من أهل خراسان ـ ذكر لي أنه من أهل سَنْجان ـ واقفاً خلف الجمال يسوقها، ويحفظ الرحال التي عليها، حتى نظر إلى الجانب الغربي، فرأى الجذع عليه ابن بقيّة ـ وكان وزيراً صَلَبه الملك لذنوبٍ كانت له ـ فقال: لا إله إلا الله، ما أعجب أمورَ الدنيا! وما أقلّ المفكرَ في عِبَرها وغيَرِها! عضد الدولة تحت الأرض، وعدوُّه فوق الأرض.

فضل العرب على العجم

ثم حضرتُه ليلةً أخرى، فأول ما فاتحَ به المجلسَ أن قال: أتُفضِّل العرب على العجم، أم العجم على العرب؟

قلتُ: الأمم عند العلماء أربعٌ: الروم، والعرب، وفارس، والهند، وثلاث من هؤلاء عجم، وصَعْبٌ أن يقال: العرب وحدها أفضلُ من هؤلاء الثلاثة، مع جوامع ما لَها، وتفاريق ما عندها.

قال: إنّما أريد بهذا الفُرْسَ. فقلتُ: قبل أن أحكم بشيءٍ من تلقاء نفسي، أروي كلاماً لابن المقفَّع، وهو أصيلٌ في الفُرْس، عريقٌ في العجم، مفضَّل بين أهل الفضل، وهو صاحب (اليتيمة)، القائل: تركتُ أصحابَ الرسائل بعد هذا الكتاب في ضحضاحٍ من الكلام.

قال: هات على بركة الله وعونه. قلتُ: قال شَبيبُ بن شَبَّة: إنّا لوقوفٌ في عرصة المِرْبَد ـ وهو مَوْقف الأشراف ومجتمع الناس، وقد حضر أعيان المصر؛ إذ طلع ابن المقفَّع، فما فينا أحدٌ إلّا هَشَّ له، وارتاح إلى مُساءلته، وسررنا بطلعته، فقال: ما يَقِفُكم على مُتون دوابِّكم في هذا الموضع؟ فوالله لو بعث الخليفةُ إلى أهل الأرض يبتغي مثلَكم ما أصاب أحداً سواكم، فهل لكم في دار ابن برثن في ظلٍّ ممدودٍ، وواقيةٍ من الشمس، واستقبالٍ من الشَّمال، وترويحٍ للدَّواب والغلمان، ونتمهَّد الأرض فإنّها خيرُ بساط وأوْطَؤُه، ويَسمع بعضنا من بعض، فهو أَمَدُّ للمجلس، وأَدَرُّ للحديث.

فسارعنا إلى ذلك، ونزلنا عن دوابنا في دار ابن برثن نتنسَّم الشَّمال؛ إذ أقبل علينا ابن المقفَّع، فقال: أيُّ الأمم أعقل؟ فظننا أنه يريد الفُرس، فقلنا: فارسُ أعقل الأمم؛ نقصد مقاربتَه، ونتوخَّى مصانعته. فقال: كلا، ليس ذلك لها ولا فيها، هم قومٌ عُلِّموا فتعلَّموا، ومُثِّل لهم فامتثَلوا واقتدوا، وبُدئوا بأمرٍ فصاروا إلى اتِّباعه، ليس لهم استنباطٌ ولا استخراجٌ. فقلنا له: الرُّوم. فقال: ليس ذلك عندها، بل لهم أبدانٌ وثيقةٌ، وهم أصحاب بِناءٍ وهندسةٍ، لا يعرفون سواهما، ولا يحسنون غيرَهما. قلنا: فالصِّين. قال: أصحاب أثاثٍ وصنعةٍ، لا فكر لها ولا رويَّة. قلنا: فالتُّرْك. قال: سِباع للهِراش. قُلنا: فالهند. قال: أصحاب وهمٍ ومخرقة وشَعْبَذة[18] وحيلة. قلنا: فالزِّنْجُ. قال: بهائِمُ هاملة[19].

فرددنا الأمرَ إليه، قال: العَرَب. فَتَلاحَظْنا وهَمَس بعضنا إلى بعض، فغاظه ذلك منّا، وامتُقِع[20] لونُه، ثم قال: كأنّكم تظنّون فيَّ مقارَبتكم، فوالله لوددتُ أنّ الأمر ليس لكم ولا فيكم، ولكن كرهتُ إنْ فاتني الأمر أن يفوتني الصواب، ولكن لا أدَعُكم حتى أبيِّن لكم لِمَ قلت ذلك؛ لأخرج من ظِنَّة المداراة، وتوهُّمِ المصانَعة.

إن العرب ليس لها أولٌ تَؤُمُّه، ولا كتابٌ يدلُّها، أهلُ بلد قَفْرٍ، ووحشةٍ من الإنس، احتاج كلُّ واحدٍ منهم في وَحدته إلى فكره ونظره وعقله، وعلموا أنَّ معاشَهم من نبات الأرض، فوَسموا[21] كلَّ شيءٍ بسِمَته، ونسبوه إلى جنسه، وعَرَفوا مصلحة ذلك في رَطبِه ويابسه، وأوقاتِهِ وأزمنتِه، وما يَصلُح منه في الشاة والبعير، ثم نظروا إلى الزمان واختلافه، فجعلوه ربيعيًّا وصيفيًّا، وقَيْظِيًّا وشتويًّا، ثم علموا أنَّ شربَهم من السماء، فوَضَعوا لذلك الأنْواء[22]، وعرفوا تغيُّر الزمان، فجعلوا له

منازله من السنة، واحتاجوا إلى الانتشار في الأرض، فَجعلوا نُجوم السَّماء أدلةَ على أطرافِ الأرضِ وأقطارِها، فسلكوا بها البلاد.

وجعلوا بينهم شيئاً ينتهون به عن المنكر، ويرغِّبهم في الجميل، ويَتَجَنَّون به على الدناءة، ويحضُّهم على المكارم، حتى إنّ الرجل منهم ـ وهو في فَجٍّ[23] من الأرض ـ يصف المكارم فما يُبقي من نعتها شيئاً، ويُسرف في ذمِّ المَساوئ فلا يقصِّر، ليس لهم كلامٌ إلّا وهم يُحاضُّون به على اصطناع المعروف، ثم حِفظِ الجار، وبَذْلِ المال، وابتناء المَحامد، كلٌّ واحد منهم يصيب ذلك بعقله، ويستخرجه بفطنته وفكرته، فلا يتعلَّمون ولا يتأدَّبون، بل نَحائِزُ[24] مؤدَّبةٌ، وعقولٌ عارفةٌ؛ فلذلك قلت لكم: إنهم أعقل الأمم؛ لصحة الفطرة، واعتدال البنية، وصواب الفكر، وذكاء الفهم.

فرحة عاجلة

لمَّا تقلَّد كِسرى أنوشِرْوَان مملكتَه، عَكَفَ عَلَى الصَّبوح[25] والغَبوق[26]، فكتب إليه وزيرُه رُقعةً يقول فيها: إنَّ في إدمان المَلِك ضرراً على الرَّعيّة، والوجهُ تخفيفُ ذلك، والنَّظرُ في أمور المملكة. فَوَقَّع على ظهرِ الرُّقعة بالفارسيّة بما ترجمتُه: يا هذا، إذا كانت سُبُلُنا[27] آمنةً، وسيرتُنا عادلةً، والدُّنْيا باستقامتِنا عامِرةً، وعُمَّالُنا بالحق عاملةً، فلِمَ نُمنَعُ فَرحةً عاجلةً؟

عمل الخير يوجب الثناء

وقال بعض ندماء الإسكندر له: إن فلاناً يسيء الثناء عليك. فقال: أنا أعلم أن فلاناً ليس بشرِّير، فينبغي أن يُنْظر: هل ناله من ناحيتنا أمرٌ دعاه إلى ذلك؟ فَبَحَثَ عن حاله فوجدها رَثَّةً، فأمر له بصلةٍ سنيَّة، فبلغه بعد ذلك أنه يبسُط لسانه بالثناء عليه في المحافل، فقال: أما ترون أن الأمر إلينا أن يقال فينا خيرٌ أو شرٌّ.

مقاريوس يخدع زيموس

ركب مقاريوس في حاجةٍ، فمرَّ بزِيموس وقد تعلَّق به رجلٌ يطالبه بمالٍ اختدعه عنه، وعليهما جماعةٌ من الناس، وهو يسأله تنجيم[28] ذلك المال عليه نجوماً ليؤديه، ويتضرَّعُ أشد التضرع. فقال مقاريوس: ما طَلِبَتُك عند هذا الرجل؟ فقال: أتاني فخدعني بالزهد والنُّسك عن مالي، ووعدني أن يملأ بيتي ذهباً من صنعته، فلم أزل في الاسترسال إلى ظاهره السليم، حتى أفقرني باطنُه السقيم.

فقال له مقاريوس: إنَّ كل من بَذَلَ شَيئاً إنما يَبذله على قَدْرِ وُسْعِه، وكان زيموس أتاك على حالهِ التي هو عليها، ولم يكن ليتَّسع لأكثر من ذلك القَول، وأمَّا عَمَلُ الذَّهب فبيِّنٌ ظاهر؛ لأن فَقْرَهُ يدُلُّ على عجزِه وضعفهِ عنه، ومن أمَّلَ الغِنَى عند الفقير فغايةُ ما يُمْكِنُ أن يبلغه أن يصير مثلِه، وآخر ما يُؤمَّلُ عند الفقير نَيْلُ الفقر. فقد أصبتَ ما كنت تحبُّ أن تجِدَه عند زيموس، وهو حَظٌّ إن تمسَّكت به لم يَغْلُ[29] بما تَلِف من مالك، ولئن كان وعَدَك أن يفيدك مالاً باطلاً، فلقد أفادك معدِناً حقًّا، من غير قصدٍ إلى نفعك.

ثم أقبل على زيموس وقال له: ما أبعد شبه معدِنِك من المعادن الطبيعية! إنَّ المعادِنَ تلفِظُ الذَّهب، ومَعْدِنَكَ هذا يبتلع الذهب، ومن جاور معدِناً منها أغناه، ومن جاور معدنك أفقره، والمعادن الطَّبيعيَّة تثمرُ من غير قولٍ، ومعدنك يقول من غير إثمارٍ.

فقال زِيمُوس: أيُّها الفاضل، لئن عِبْتَني فلست بأوَّلِ حكيم لقيَ من النّاس الأذى. فقال له: أَجَلْ، ولا آخِرهم ولا أوسطهم، لكنَّك من الجُهَّال الذين لقيَ الناسُ منهم الأذى.

الجرجانيُّ المتقعِّر

كان محمَّدُ بن الحسن الجُرجاني متقعِّراً[30] في كلامه، فدخل الحمَّام يوماً، فقال للقيِّم[31]: أين الجُلَيْدَةُ التي تسلخُ بها الضَّويطة[32] من الإخفيق؟ قال: فصفع القيِّمُ قفاه بجلدة النُّوْرة[33] وخرج هارباً، فلما خرج من الحمَّام وجَّه إلى صاحب الشرطة، فأخَذ القيِّمَ وحبسه، فلما كان عِشاءُ ذلك اليوم كَتبَ إليه القيِّمُ رُقعةً يقول فيها: قد أبرمني[34] المحبوسون بالمسألة عن السببِ الذي حُبِسْتُ له، فإما خلَّيتني وإما عرَّفْتَهم. فوجَّه من أطلقه، واتصل الخبرُ بالفتح، فحدَّثَ المتوَكِّل، فقال: ينبغي أن يغنى هذا القيِّمُ عن الخدمةِ في الحَمَّام. وأمر له بمئتي دينار.

جحا يقتضي نذْره من غيره

قال جحا لأبي مسلم صاحب الدعوة: إني نذرتُ إن رأيتَك أن آخذ منك ألف درهم. فقال: رأيتُ أصحاب النذور يُعْطون لا يأخُذون! وأمر له بها.

نضلة والكنَّاسان

قال نضلة: مرَرْتُ بكنَّاسيْنِ؛ أحدهما في البئر، والآخرُ على رأسِ البئر، وإذا ضجَّةٌ، فقال الذي بالبئر: ما الخبر؟ فقال: قُبِضَ على عليِّ بن عيسى؟ فقال: من أقعدوا بدله؟ قال: ابن الفرات. قال: قاتلهم الله! أخذوا المصحف، ووضعوا بدله الطُّنْبور.

مالك بن عمارة
وعبد الملك بن مروان

وقال لي مرة أخرى: اكتب لي جزءاً من الأحاديث الفصيحة المفيدة. فكتبتُ: قال مالك بن عمارة اللَّخْمِيّ: كنت أجالِسُ في ظِلِّ الكعبة أيامَ الموسم عبدَ الملك بن مروان وقبيصةَ بن ذؤيب وعُروةَ بن الزُّبير، وكنَّا نخوض في الفقه مرةً، وفي الذِّكر مرةً، وفي أشعار العرب وآثار الناس مرَّة، فكنت لا أجدُ عند أحدٍ منهم ما أجِدُه عند عبد الملك بن مروان؛ من الاتساع في المعرفة، والتصرُّف في فنون العلم والفصاحة والبلاغة، وحُسن استماعه إذا حُدِّثَ، وحلاوة لفظه إذا حَدَّث، فخلوتُ معه ذات ليلة فقلت: والله إني لمسرورٌ بك لما أشاهده من كثرة تصرُّفك، وحُسْن حديثك، وإقبالك على جليسك. فقال: إنك إن تعش قليلاً فسترى العيون طامحة إليَّ، والأعناقَ قاصدةً نحوي، فلا عليك أن تُعمل إليَّ ركابَك[35].

فلما أفضَتْ إليه الخلافة شخصتُ أريده، فوافيته يوم جمعة وهو يخطب الناس، فتصدَّيت له، فلما وقعت عينه عليَّ بَسَر في وجهي، وأعرض عنِّي، فقلت: لم يُثبِتْني معرفةً، ولو عرفني ما أظهر نُكرَةً. لكنني لم أبرَح مكاني حتى قُضِيَت الصلاة ودخل، فلم ألبث أن خرجَ الحاجبُ إليَّ فقال: مالك بن عُمارة. فقمت، فأخذ بيدي وأدخلني عليه، فلما رآني مدَّ يده إليَّ، وقال: إنَّك تراءيتَ لي في موضع لم يجُزْ فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانقباض، فمرحباً وأهلاً وسهْلاً، كيف كنتَ بعدنا؟ وكيف كان مسيرُك؟ قلت: بخير، وعلى ما يحبُّه أميرُ المؤمنين. قال: أتذكر ما كنتُ قلتُ لك؟ قلتُ: نعم، وهو الذي أعملني إليك. فقال: والله ما هو بميراثٍ ادَّعَيْناه، ولا أثرٍ وَعَيْناه، ولكني أخبرك عن نفسي خِصالاً سَمَتْ بها نفسي إلى الموضع الذي تَرى؛ ما لاحيتُ ذا وُدٍّ ولا ذا قرابةٍ قطّ، ولا شمِتُّ بمصيبةِ عدوٍّ قطّ، ولا أعرضت عن محدِّثٍ حتى ينتهي، ولا قصدت كبيرةً من محارم الله متلذِّذاً بها وواثباً عليها، وكنت من قريش في بيْتها، ومن بيتها في وسطه، فكنت آمل أن يرفع الله مني، وقد فعل. يا غلام، بَوِّئه منزلاً في الدار.

فأخذ الغلامُ بيدي، وقال: انطلق إلى رحْلك. فكنت في أخفض حال، وأنعم بال، وكان يسمعُ كلامي وأسمعُ كلامه، فإذا حضرَ عشاؤه أو غداؤه أتاني الغلام، وقال: إن شئت صِرْتَ إلى أمير المؤمنين، فإنه جالس. فأمشي بلا حذاء ولا رداء، فيرفع مجلسي، ويُقْبل على محادثتي، ويسألني عن العراق مرَّةً، وعن الحجاز مرَّةً، حتى مضت لي عشرون ليلة.

فتغدَّيتُ عنده يوماً، فلمَّا تفرَّقَ الناسُ نهضتُ للقيام، فقال: على رسلك أيُّها الرجل، أي الأمرين أحبُّ إليك: المُقام عندنا، ولك النَّصَفَةُ في المعاشرة والمجالسة مع المواساة، أم الشُّخوص ولك الحِباء والكرامة؟ فقلت: فارقتُ أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرني اخترتُ فِناءَه على الأهل والولد. قال: بل أرى لك الرُّجوع إليهم؛ فإنهم مُتَطلِّعون إلى رؤيتك، فتجدِّدُ بهم عهداً، ويجدِّدون بك مِثْلَه، والخيار في زيارتنا والمقام فيهم إليك، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار، وكسوناك وحَمَلْناك، أتراني مَلأتُ يَدَك أبا نصرَ؟ قلتُ: يا أمير المؤمنين، أراك ذاكراً لما رَوَيْتَ عن نفسك. قال: أجل، ولا خيرَ فيمن ينسى إذا وعد، ودِّع إذا شئتَ، صَحِبَتْك السلامة.

عمر بن عبد العزيز
ينصف أهل بيت رسول الله

لمَّا قَدِمَ المالُ من ناحيةِ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على أبي بكر بن حَزْم، قَسَمه بين الناسِ في المدينة، فأصاب كلٌ إنسان خمسين ديناراً، فدعتني فاطمة بنت الحسين ـ عليه السلام ـ فقالت: اكتُبْ؛ فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدِ الله عمرَ أمير المؤمنين من فاطمة بنت الحسين، سلامُ الله عليك، فإنّي أَحمَدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمَّا بعد، فأَصلَحَ اللهُ أميرَ المؤمنين وأعانَه على ما تَوَلّاه، وعَصمَ به دينه، فإنَّ أمير المؤمنين كتبَ إلى أبي بكر بن حَزْم أن يَقْسِمَ فينا مالاً من الكتيبة، ويتحرَّى بذلك ما كان يَصْنَع مَنْ قَبْلَه من الأئمة الراشدين المهديِّين، وقد بلَّغَنا ذلك، وقَسَمَ فينا، فوصل اللهُ أميرَ المؤمنين، وجزاهُ من والٍ خيرَ ما جزى أحداً من الوُلاة، فقد كانت أصابَتْنا جَفْوَةٌ، واحتجنا إلى أن يُعمَل فينا بالحقِّ، فأقسمُ باللهِ ـ يا أميرَ المؤمنين ـ لقد اختَدَمَ من آلِ رسول الله من لا خادم له، واكتسى من كان عارياً، واستقرَّ من كان لا يجدُ ما يَسْتقرُّ به. وبعثْتُ إليه رسولاً.

قال يحيى: فحدثني الرسولُ؛ قال: قَدِمْتُ الشَّامَ عليه، فقرأ كتابَها وإنّه ليَحْمَدُ الله ويَشكُره، فأمر لي بعشرة دنانير، وبعث إلى فاطمة خَمسَمئة دينار، وقال: استعيني بها على ما يُعْوِزُكِ، وكتب إليها كتاباً يَذْكُرُ فيه فضلها وفضل أهل بيتها، ويذكرُ ما فرض الله لهم من الحق.

قيلوا فإن الشياطين لا تقيل

قال إبراهيم بن السِّندِيّ: نظر رجلٌ من قريش إلى صاحبٍ له قد نامَ في غداةٍ من غدوات الصَّيف طيِّبَةِ النسيم، فرَكَضَه برجله، وقال: ما لك تنامُ عن الدُّنيا في أطيب وقتها؟ نَمْ عنها في أخبث حالاتها، نَمْ في نصف النهار؛ لبُعْدِك عن الليلة الماضية والآتية، ولأنها راحةٌ لما قبلها من التَّعب، وجمامٌ لما بعدها من العمل، نِمْتَ في وقت الحوائج، وَتنَبَّهتَ في وقت رُجوع الناس، وقد جاء: «قِيلُوا فإنَّ الشَّياطين لا تَقِيل».

الحجَّاج ينظر في أمر طبَّاخه

نظر الحَجَّاجُ يوماً على المائدة إلى رجلٍ وَجَأَ[36] عُنُقَ رجل آخر، فدعا بهما، فقال للواجئ: عَلامَ صنعت؟ فقال: غصَّ بعظم فخفتُ أن يقتُلَه، فوجأتُ عنقه فألقاه. فسأل الآخر، فقال: صَدَق. فدعا بالطبَّاخ، فقال له: أتدع العِظَامَ في طعامك حتى يغصَّ بها؟ فقال: إنَّ الطعام كثير، وربما وقع العَظْمُ في المرق فلا يُزال. قال: تَصُب المَرَق على المناخل. فكان يفعل.

يتقرَّب إلى الله بعتق سبعين مملوكاً

أصاب عبد الرحمن بن مدين ـ وكان رجلَ صِدْقٍ بخراسان ـ مالاً عظيماً، فجهَّز سبعين مملوكاً بدَوابِّهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك، ثم أصبحوا معه يومَ الرحيل، فلما استوى بهم الطريقُ نظر إليهم، فقال: ما ينبغي لرجُل أن يتقرَّب بهؤلاء إلى غير الله. ثم قال: اذهبوا أنتم أحرارٌ، وما معكم لكم.

من أجواء الليلة التاسعة عشرة

ورَسَم بجَمع كلماتٍ بوارع، قِصارٍ جوامع، فكتبتُ إليه أشياءَ كنتُ أسمعها من أفواه أهل العلم والأدب، على مرِّ الأيام في السَّفَرِ والحضر، وفيها قَرْعٌ للحِسّ، وتنبيهٌ للعقْل، وإمتاعٌ للرُّوح، ومعونةٌ على استفادة اليَقَظة، وانتفاعٌ في المقامات المختلفة، وتمثُّلٌ للتجارب المخلَّفة، وامتثالٌ للأحوالِ المُسْتأنَفة.

من ذلك:

(الحمد لله) مفتاحُ المذاهب. البِرُّ يَسْتَعبِد الحُرَّ. القناعةُ عِزُّ المُعْسِر. الصَّدَقَةُ كَنْزُ المُوسِر. ما انقضت ساعةٌ من أمسِك، إلا ببضعةٍ من نفسِك. درهمٌ ينفع خيرٌ من دينارٍ يضرُّ. من سرَّه الفساد، ساءه

المَعاد. الشقيُّ من جمع لغيره، فضنَّ على نفسه بخيره. زِدْ من طولِ أملك، في قِصَرِ عملك. لا يَغُرَّنَّكَ صحَّة نفسِك، وسلامةُ أمْسِك؛ فَمُدَّةُ العمرِ قليلة، وصحةُ النَّفس مستحيلة. من لم يعتبر بالأيَّام، لم يَنْزَجِرْ بالمَلام. من استغنى بالله عن الناس، أمِنَ من عوارض الإفلاس. من ذَكَرَ المنِيَّة، نَسِيَ الأمنيَّة. البخيلُ حارسُ نِعْمَتِهِ، وخازنُ ورثته. لكلِّ امرئٍ من دنياه، ما يعينه على عمارة أخراه. من ارتدى بالكفاف، اكتسى بالعفاف. لا تخدعنَّكَ الدّنيا بخدائعها، ولا تَفْتِنَنَّكَ بودائعها. رُبَّ حُجَّةٍ، تأتي على مُهْجَة، ورُبَّ فُرْصَة، تُؤدِّي إلى غُصَّة. كم من دم، سفكه فم. كم إنسان، أهلكه لسان. رُبَّ حرفٍ، أدَّى إلى حتف. لا تفرط، فتسقط. الْزَم الصَّمت، وأخفِ الصَّوت. من حَسُنت مساعيه، طابت مراعيه. من أعزَّ فلسه، أذلَّ نفسه. من طال عُدْوَانُه، زال سُلْطانُه.

عقوق الأم

قال أبو هريرة : كان جُرَيْجٌ يتعبَّد في صَوْمعته، فأتت أمُّه فقالت: يا جُريج، أنا أمُّكَ، كلِّمني. فقال: اللهمَّ أمي وصلاتي! فاختار صلاته. ثم جاءته ثانيةً، فقالت: يا جريج، كلمني. فصادفته يصلِّي، فقال: اللهمَّ أمي وصلاتي! فاختار صلاته، فقالت: اللهمَّ إنَّ هذا ابني قد عَقَني فلم يكلِّمني، فلا تُمِتْه حتى تريَه المومسات. ولو دعت عليه أن يُفْتَن لفتن.

صاحب الصومعة

كان راعي ضأن يأوي إلى ديره، فخرجت امرأةٌ من القرية، فوقع عليها الرَّاعي، فحملت فولدت غلاماً، فقيل لها: ممن هذا؟ فقالت: من صاحب هذه الصومعة. فأقبل الناسُ إليه بفؤوسِهم ومَساحيهِم، فبصروا به، فصادفوه يصلّي، فلم يكلمهم، فأخذوا يهدِمون ديْرَه، فنزل وتبسَّمَ ومَسَحَ رأس الصَّبي، وقال: من أبوك؟ فقال: أبي راعي الضأن! فلمَّا سمع القومُ ذلك راعهم، وعجبوا، وقالوا: نحن نبني لك ما هدمنا بالذَّهب والفضَّة. قال: لا، أعيدوها كما كانت تُراباً. ثم عاد.

ثلاثة تنجيهم أعمالهم

وقال ابن عُمَر: كان في بني إسرائيل ثلاثةٌ خرجوا في وجْهٍ، فأخذهم المطر فدخلوا كهفاً، فوقع حجرٌ عظيم على باب الكهف، وبقوا في الظلمة، وقالوا: لا ينجينا إلا ما عملناه في الرخاء. فقال أحدهم: إني كنتُ راعياً، فأرحْتُ وحَلَبْتُ، وكان لي أبوان وأولاد وامرأةٌ، فسقيتُ أولاً الوالديْن، ثم الأولاد، فجئتُ يوماً فوجدتُ أبويَّ قد ناما، فلم أوقِظهما لحُرْمَتهما، ولم أسْقِ الأولاد، وبقيت قائماً إلى الصبح. فإن كنت يا ربِّ قَبِلْتَ هذا مني فاجعل لنا فرجاً. فتحرَّك الحَجَر، ودخل عليهم الضَّوء.

وقال الثاني: إني كنت صاحبَ ضِياع، فجاءني رجلٌ بعدما مَتَع النهار [37]، وكان لي أجراءُ يحصدون الزرع، فاستأجرته، فلما تَمَّ عملُهم أعطيتهم أجورهم، فلما بلغتُ إلى ذلك الرجل أعطيته وافياً كما أعطيت غيره، فغضبوا وقالوا: تعطيه مثل ما أعطيتنا؟! فأخذتُ تلك الأجرة، واشتريتُ بها عِجَّوْلاً، ونَمَى حتى كثر البقر، فجاء صاحب الأجرة يطلُبُ، فقلت: هذه البقرُ كلُّها لك! فسلَّمتُها إليه. فإن كنت يا ربِّ قَبِلتَ منّي هذا الوفاء ففرِّج عنا. فتحرَّك الحجرُ، ودخل منه ضوءٌ كثير.

وقال الثالث: كانت لي بنت عمٍّ فراودتُها، فأبت، حتى أعطيتُها مئةَ دينار، فلما أردتُ ما أردتُ اضطربتْ وارتَعدَتْ. فقلت لها: ما لَكِ؟ فقالت: إني أخافُ الله. فتركتُها ورجعت عنها. إلهي فإن كنت قبلتَ ذلك مني ففرِّج عنّا. فتحرّك الحجرُ، وسقط عن باب الكهف، وخرجوا منه يمشون.

الكراكي تطالب بدم كنتس

حَكى لنا أبو سليمان: أنّ ثُيُودُسْيُوس ملك يونان كتب إلى كُنْتُس الشاعر أن يُزوِّده بما عنده من كتبٍ فلسفيةٍ، فجمع ماله في عَيْبَةٍ[38] ضخمة، وارتحل قاصداً نحوه، فلقي في تلك البادية قوماً من قُطّاع الطريق، فطمعوا في ماله وهَمُّوا بقتله، فناشدهم الله ألّا يقتلوه، وأن يأخذوا ماله ويُخلّوه، فأبَوا، فتحيَّر ونظر يميناً وشمالاً يلتمس مُعيناً وناصراً فلم يجد، فرفع رأسه إلى السماء، ومدّ طَرْفه في الهواء، فرأى كَرَاكِيَّ تطير في الجوِّ مُحَلِّقة، فصاح: أيتها الكراكيُّ الطائرة، قد أعجزني المعين والناصر، فكوني الطالبةَ بدمي، والآخذةَ بثأري. فضحك اللصوص، وقال بعضهم لبعض: هذا أنقص الناس عقلاً، ومنْ لا عَقْل له لا جُناح في قتله. ثم قتلوه، وأخذوا ماله واقتسموه، وعادوا إلى أماكنهم، فلمَّا اتَّصل الحديثُ بأهل مدينته حزنوا وأعظموا ذلك، وتَبِعوا أثر قاتله واجتهدوا، فلم يُغْنُوا شيئاً، ولم يقفوا على شيء.

وحضر اليونانيون وأهل مدينته إلى هيكلهم لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحكمة والعظة، وحضر الناسُ من كلِّ قُطر وأوْب، وجاء القتلة، واختلطوا بالجمع، وجلسوا عند بعضِ أساطين الهيكل، فهم على ذلك إذ مرَّت بهم كراكيٌّ تتناغى وتصيح، فرفع اللصوص أعينهم ووجوههم إلى الهواء

ينظرون ما فيه، فإذا الكَراكيُّ تصيح وتطير، وتسد الجوَّ، فتضاحكوا، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء طالِبو دم كُنْتُس الجاهِل ـ على طريق الاستهزاء ـ فسمع كلامَهم بعض من كان قريباً منهم، فأخبر السلطانَ، فأخذهم وشَدَّد عليهم، وطالبهم فأقرُّوا بقتله، فقتلهم، فكانت الكَراكيُّ المطالبةَ بدمه، لو كانوا يعقلون أنَّ الطالب لهم بالمرصاد.

لطف الله بعباده

وقال لنا أبو سليمان: كنت في البادية في صَفَر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج، ومعي جماعةٌ من الصُّوفية، فلحِقنا جُهدٌ من عَوَز القوت، وتعذَّر ما يُمْسِك الرُّوح ـ في حديث طويل ـ إلا أنّا وصلنا من زُبالةَ[39] بالحيلة اللطيفة منَّا، والصُّنع الجميل من الله تعالى، إلى شيءٍ من الدقيق، فانتعشت أنفُسُنا به، وغنمناه، ورأيناه نفحةً[40] من نفحات الله تعالى الكريم، فجعلناه زادنا، وسرنا، فلما بلغنا المنزل قعدنا لنُمارس[41] ذلك الدقيق، ولقَطْعنا البَعَرَ ودُقاقَ الحطب، فلما أجمعنا على العَجْن والمَلْكِ[42] لم نجد الحُراق[43] ـ وكان عندنا أنَّه معنا، وأنَّنا قد استظهرناه[44] ـ فدخلتنا حيرةٌ شديدةٌ، ورَكِبَنا غمٌّ غالبٌ، وسففنا من ذلك الدقيق شيئاً، فما ساغ ولا قَبِلَتْه الطبيعة، وبتنا ليلتنا طاوين[45] ساهرين، قد علانا الكَمَد[46]، وملكنا الوُجومُ والأسف، فقال بعضنا: هذا لمّا وجدنا الدقيق؟! وأصبحنا ورُكَبنا قد استَرْخَتْ، وعيوننا قد غارت، وأحدُنا لا يحدِّث صاحبه غَمًّا وكرْباً، وعدنا إلى ما كنَّا فيه قبلُ بزيادةِ من النَّظر إلى الدقيق، وقال صاحبٌ لنا: نرمي بجراب الدَّقيق؛ حتَّى نُلْقي حمله وثقله في طول هذا الطريق. فقلنا: ليس هذا بصواب، وما يضرنا أن يكون معنا؛ فلعلَّنا أن نرى ركباً أو نَلْقى حطباً.

وكانت الباديةُ خاليةً في ذلك الوقت؛ لرعبٍ لحِق قوماً من بني كِلاب من جهة أعدائهم، فلم يكن يجتازُ بها في ذلك الوقت غريب. وبقينا كذلك إلى اليوم الثالث، ونحنُ نُلاحِقُ ونُجاهد في مَشي، فلمَّا كان العَصْرُ من ذلك اليوم، كنتُ أسيرُ أمامَ القوم أجَرِّئهم وأسألهم، وكنتُ كالحاطب لهم إذا عَثَرْنا بحُراقٍ، وظفِرنا بفَتيلة، فوَجدوا خرقةً مَلفُوفة فيها حُراق، فهلّلوا وكبَّرُوا، ورَفَعوا أصْواتهم، فقلت

كالمتعجِّب: ما الخبَر؟ قالوا: البُشْرَى! قلت: وما ذاك؟ قالوا: هذه خِرْقة مُلِئَتْ حُرَاقاَ! فلا تَسَلْ عمَّا دَهَانا من الفَرح والاستبشار، وثابَ إلينا من السُّرُور والارتياح، وزال عنَّا من الانخزال والانكسار، وقَعَدْنا في مكانِنا ذلك، ولَقَطْنا البَعَر، وأثَرْنَا الوَقود، وأجَّجْنا ناراً عظيمة، ومَلَكْنا الدَّقيق كلَّه مَلْكَةً واحدةً، وكان أربَعين رِطْلاً، وكان ذلك بلاغَنا إلى القادسيّة، فلما دنَوْنا منها تلقّانا بَشَرٌ من أَهْلِها، وقالوا لنا: كيف سَلِمتُم في هذه الطريق مع العَوَز والخوف؟ فقلنا: لُطْفُ الله يُقرِّب كلَّ بعيد، ويسهِّل كلَّ شديد، ويَصْنَع للضعيف حتَّى يتعجب القويُّ.

ما كان من أمر اليهودي والمجوسي

وحدَّثني أبو الحسن عليُّ بنُ هارون الزَّنْجَانيُّ القاضي، قال: اصطحب رَجُلان في بعض الطُّرُق مسافرَيْن: مَجوسيٌّ من أهل الرَّيّ، والآخر يَهوديٌّ من أرض جَيّ[47]، وكان المجوسي راكباً بَغْلة عليها سُفْرَة من الزّاد والنفقة وغير ذلك، وهو يسير مرفَّهًا وادعاً، واليهودي يمشي بلا زادٍ ولا نفقة، فبينما هما يتحدثان إذ قال المجوسيُّ لليهوديّ: ما مذهبك وعقيدتك يا فلان؟ قال اليهوديّ: أعتقد أنَّ في هذه السماء إلهاً هو إله بني إسرائيل، وأنا أعبُدُه وأقدِّسه وأضرع إليه، وأطلب فضل ما عنده من الرزق الواسع والعمر الطويل، مع صِحَّة البدن، والسَّلامةِ من كلِّ آفة، والنُّصرة على عَدُوِّي، وأسأله الخير لنفسي ولمن يوافقني في ديني ومذهبي، فلا أَعْبَأ بمن يُخالفُني، بل أعتقد أنَّ من يخالفني دَمُه لي يحلُّ، وحَرامٌ عليَّ نُصْرَتُه ونصيحته والرحمةُ به.

ثم قال للمجوسيّ: قد أخبرتك بمذهبي وعقيدتي، وما اشتمل عليه ضميري، فخبِّرني أنت أيضاً عن شأنك وعقيدتك، وما تدين به ربَّك. فقال المجوسي: أمّا عقيدتي ورأيي فهو أني أريد الخير لنفسي وأبناء جِنسي، ولا أريدُ لأحدٍ من عِباد الله سُوءًا، ولا أتمنَّى له ضُرًّا؛ لا لمُوافقي، ولا لمخالفي. فقال اليهوديّ: وإن ظَلَمك وتعدَّى عليك؟ قال: نعم؛ لأني أعلمُ أنَّ في هذه السماء إلهاً خبيراً عالماً حكيماً، لا تخفى عليه خافيةٌ من شيءٍ، وهو يجزي المُحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته. فقال اليهوديّ: يا

فلان، لست أراك تنصر مذهبك، وتحقَق رأيك. قال المجوسيّ: كيف ذاك؟ قال: لأني من أبناءِ جنسك، وبشرٌ مثلك، وتَراني أمشي جائعاً نَصِباً مجهوداً، وأنت راكبٌ وادعٌ مرفَّه شبْعان. فقال: صدقت، وماذا تبغي؟ قال: أطعمني من زادك، واحملني ساعةً، فقد كَلَلْتُ وضَعُفْت. قال: نَعم وكرامة.

فنزل ومدَّ من سُفْرَتِه، وأطعمه وأشبعه، ثم أركبه، ومشى ساعة يحدِّثه، فلمَّا ملك اليهوديُّ البغلة، وعَلِمَ أنَّ المجوسيَّ قد أعيا؛ حرَّك البغلةَ وسبقه، وجعل المجوسيُّ يمشي ولا يلحقُه، فناداه: يا فلان، قِفْ لي وانزل، فقد انحسرت وانبهرت. فقال اليهوديّ: ألم أخَبِّرْك عن مذهبي، وخبَّرْتني عن مذهبك، ونصرْتَه وحَقَّقْته؟! فأنا أريد أيضاً أن أحقِّق مَذهَبي، وأنصر رأيي واعتقادي. وجعل يحرِّك البغلة، والمجوسيُّ يَقفوه على ظَلَع[48]، ويُنادي: قف يا هذا واحملني، ولا تتركني في هذا الموضع؛ فيأكلني السَّبُعُ وأموت ضَياعاً، وارحمني كما رحمتك. واليهوديُّ لا يَلوي على نِدائه واستِغاثته، حتّى غاب عن بصره.

فلما يئس المجوسيُّ منه وأشفى[49] على الهَلَكة، ذكر اعتقاده وما وصف به رَبَّه، فرفع طرفه إلى السماء، وقال: إلهي، قد علمتَ أني اعتقدتُ مذهباً ونصرته، ووصفتُكَ بما أنت أهله، وقد سمعتَ وعلمتَ، فحقِّق عند هذا الباغي عليَّ ما مجَّدتك به؛ ليعلم حقيقة ما قلتُ. فما مشى المجوسيُّ إلا قليلاً حتَّى رأى اليهوديَّ وقد رَمَت به البغلة، واندقَّت عُنُقه، وهي واقفةٌ ناحيةً منه تنتظر صاحبها، فلمّا أدرك المجوسيُّ بغلته ركبها، ومضى لسبيله، وترك اليهوديَّ مُعالِجاً لكرب الموت، فناداه اليهوديُّ: يا فلان، ارحمني واحملني، ولا تتركني في هذه البرِّية أهلك جوعاً وعطشاً، وانصر مذهبك، وحقِّق اعتقادك. قال المجوسيُّ: قد فعلتُ ذلك مرَّتين، ولكنَّك لم تفهم ما قلت لك، ولم تعقل ما وصفتُ. فقال اليهوديّ: وكيف ذلك؟ قال: لأني وصفتُ لك مَذْهبي، فَلم تصدِّقني في قولي، حتّى حقّقته بفعلي؛ وذاك أني قلت: إن في هذه السماء إلهاً خبيراً عادلاً، لا يخفى عليه شيء، وهو وَلِيُّ جزاء المحسن بإحسانه، والمُسيء بإساءته.

قال اليهوديُّ: قد فهمتُ ما قلت، وعلمتُ ما وصفتَ. قال المجوسيّ: فما الذي مَنَعَك من أن تَتَّعظ بما سمعت؟ قال اليهوديّ: اعتقادٌ نشأتُ عليه، ومذهبٌ تربَّيتُ به، وصار مألوفاً معتاداً كالجِبِلّة[50] بطول الدَّأبِ فيه، واستعمال أبنيَتِهِ؛ اقتداءً بالآباء والأجداد والمعلّمين من أهل ديني ومن أهل مذهبي، وقد صار ذلك كالأسِّ الثابت، والأصل النابت، ويَصْعُب ما هذا وَصْفُه أن يُترَك ويُرفض ويُزال. فرحمه المجوسيُّ، وحمله معه حتَّى وافَى المدينة، وسلّمه إلى أوليائه محطَّماً مُوجَعاً، وحَدَّث الناسَ بحديثِه وقصَّته، فكانوا يتعجَّبون من شأنها زماناً.

قيل في إكرام الضيف

قال إبراهيم بن الجُنَيْد: كان يقال: أربع لا ينبغي أن يأنف منهنَّ وإن كان أميراً: قيامُه من مجلسه لأبيه، وخِدمتُه للعالِم يتعلَّمُ منه، والسؤالُ عمّا لا يعلم ممن هو أعلم منه، وخِدمَةُ الضيف بنفسه إكراماً له.

وقال حاتم الأصمُّ: كان يقال: العَجَلة من الشيطان إلا في خمس؛ فإنها من سُنَّة رسول الله : إطعام الضَّيف إذا حلَّ، وتجهيز الميِّت إذا مات، وتزويج البِكر إذا أدركت، وقضاء الدَّين إذا حَلَّ ووجب، والتَّوبة من الذنب إذا وقع.

وقال النبي : «ليلةُ الضَّيف حقٌّ واجبٌ على كلِّ مسلم، فمن أصبح بفنائه فهو أحقُّ به؛ إن شاء أخذ، وإن شاء ترك».

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قدح، فسألت عسلاً، وقالت: زوجي مريض. فأمر لها بجرة عسل، فقالوا: يا أبا الحارث، إنما تسأل قَدَحاً. قال: سألت على قَدْرِها، ونُعْطيها على قدرنا.

وقال ابنُ عمر: أُهْدِيَتْ لرجلٍ من أصحاب النبي شاةٌ، فقال: أخي فلانٌ أحوجُ إليها. وبعث بها إليه، فلم يزل[51] يبعث بها واحدٌ بعد واحد، حتى تداوَلها تسعةُ أبيات، ورجعت إلى الأوّل، فنزلت الآية: {ويُؤثرُون على أنْفسِهِمْ ولوْ كان بِهِمْ خَصاصَةٌ} (سورة الحشر: الآية التاسعة).

قال أبو سعيد الخُدْريّ: قال رسول الله : «من كان له ظهرٌ فلْيَعُدْ على من لا ظهر له، ومن كان له زادٌ فليعد على من لا زادَ له»، حتى رأيْنا أنّه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في الفضل.

وقال النبيُّ : «تجافوا عن ذَنْب السَّخِيِّ؛ فإن الله يأخذُ بيَدِه كلَّما عَثَر».

وقال عليه السلام: «من أدَّى الزَّكاة، وقَرَى الضَّيف، وآوَى في النائبة، فقد وُقِيَ شُحَّ نَفْسِه».

وقالت أُمُّ البنين أختُ عمر بن عبد العزيز: أُفٍّ للبُخل، لو كان طريقاً ما سلكته، ولو كان ثوباً ما لَبِسته، ولو كان سِراجاً ما استضأتُ به.

حسن الخلق

وقال أبو حازم المدنيّ: أسعد الناس بالخلق الحَسَن صاحبُه؛ نفْسُه منه في راحة، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إن فَرَسه ليصهل إذا سمع صوتَه، وكلبَه يُشَرْشِرُ بذنبه إذا رآه، وقطّه يدخل تحت مائدته، وإنَّ السيئ الخلق لأشقى الناس؛ نفْسُه منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، ثم خَدَمهُ، وإنه ليدخل وهم في سرور فيتفرَّقون فَرَقاً[52] منه، وإنَّ دابَّته لتحيد عنه إذا رأته ممَّا ترى منه، وكلبه ينزو[53] على الجدارِ، وقطّه يفرُّ منه.

حبُّ ما تجاوز المعدة

عشق رجلٌ جاريةً روميّة كانت لقوم ذَوِي يسار، فكتب إليها يوماً: جُعِلتُ فداك، عندي اليوم أصحابي، وقد اشتهيت سكباجةً[54] بَقرِيَّةً، فأحبُّ أن توجِّهي إلينا بما يَعُمّنا ويكفينا منها، ودَسْتَجَةً[55] من شراب لنتغذّى ونشرب على ذكرك. فلما وصلت الرُّقعةُ وجَّهَت إليه بما طلب، ثم

كتب إليها يوماً آخر: فدتك نفسي، إخواني مجتمعون عندي، وقد اشتهيت قَلِيَّةً جَزُوريَّة[56]، فوجِّهي بها إليّ، وما يكفينا من شراب والنَّقْل[57]؛ ليعرفوا منزلتي عندك. فوجَّهت إليه بكل ما سأل، ثم كتب إليها يوماً آخر: جُعِلتُ فداك، قد اشتهيت أنا وأصحابي رؤوساً سماناً، فأُحبُّ أن توجِّهي إلينا بما يكفينا، ومن النبيذ بما يروينا. فكتبت الجارية عند ذلك: إني رأيتُ الحُبَّ يكون في القلب، وحبك هذا ما تجاوز المعدة.

حد الشبع

قيل لصُوفيٍّ: ما حدُّ الشِّبَع؟ قال: لا حدَّ له، ولو أراد الله أن يؤكل بحدٍّ لبيَّن كما بيَّنَ جميعَ الحدود، وكيف يكون للأكل حدٌّ؟! والأكَلَةُ مخْتلفو الطِّباع والمزاج والعارض والعادة، وحكمة الله ظاهرةٌ في إخفاء حدِّ الشِّبَع؛ حتى يأكل من شاء على ما شاء كما شاء.

وقيل لصوفيٍّ: ما حدُّ الشِّبع؟ فقال: ما نشَّطَ على أداء الفرائض، وثَبَّطَ عن إقامة النَّوافل.

وقيل لمتكلم: ما حدُّ الشِّبع؟ فقال: حدُّه أن يجلب النوم، ويُضْجِرَ القوم، ويبعث على اللَّوم.

وقيل لأعرابي: ما حدُّ الشِّبَع؟ قال: أمّا عندكم يا حاضرة فلا أدري، وأما عندنا في البادية فما وَجَدَتِ العين، وامتدَّت إليه اليَد، ودار عليه الضِّرس، وأساغَهُ الحلق، وانتفخ به البطن، واستدارت عليه الحوايا[58]، واستغاثت منه المعدة، وتقوَّست منه الأضلاع، والتوت عليه المصارين، وخيف منه الموت.

وقيل لطبيب: ما حدُّ الشِّبع؟ قال: ما عدَّل الطبيعة، وحفظ المزاج، وأبقى شهوةً لما بعد.

وقيل لقصّار: ما حدّ الشَبَع؟ قال: أن تَثِبَ إلى الجفْنَةِ كأنك سِرْحان، وتأكل وأنت غضبان، وتمضغ كأنك شيطان، وتبلع كأنك هيْمَان، وتَدَع وأنت سكران، وتَسْتَلقي كأنك أوان.

وقيل لحمَّال: ما حدُّ الشِّبَع؟ قال: أن تأكل ما رأيت بعَشْرِ يديكَ، غير عائفٍ ولا مُتَقَزِّزٍ، ولا كارهٍ ولا متعزِّز.

وقيل لملّاحٍ: ما حدُّ الشِّبَع؟ قال: حدُّ السُّكر. قيل: فما حدُّ السُّكر؟ قال: ألّا تعرف السَّماءَ من الأرض، ولا الطولَ من العرض، ولا النافلةَ من الفرض، من شِدَّةِ النَّهْس[59] والكَسْر والقطعِ والقرض. قيل له: فإنَّ السُّكْر محرَّم، فلم جعلت الشِّبَع مِثْلَه؟ قال: صدقتم، هما سُكران: أحدُ السُّكرين موصوفٌ بالعيب والخَسار، والآخرُ معروفٌ بالسَّكينة والوقار. قيل له: أما تخاف الهَيْضَة[60]؟ قال: إنما تُصيبُ الهَيْضَة من لا يسمِّي الله عند أكله، ولا يشكره على النعمة فيه، فأما من ذكر الله وشَكَرَه، فإنه يهضم ويستمرِئ، ويَقْرَمُ[61] إلى الزِّيادة.

وقيل لبخيل: ما حدُّ الشِّبع؟ قال: الشِّبعُ حرامٌ كلُّه، وإنما أحلَّ الله من الأكل ما نَفَى الخَوَى، وسكَّن الصُّداع، وأمسك الرَّمق، وحال بين الإنسان وبين المرح، وهل هَلَكَ الناسُ في الدِّين والدنيا إلا بالشِّبَع والتَّضَلُّع والبِطْنَة والاحتشاء؟! والله لو كان للناس إمامٌ لَوَكَّل بكلّ عَشرةٍ منهم من يحفظ عليهم عادةَ الصحة، وحالةَ العدالة، حتى يزولَ التعدِّي، ويفشُوَ الخير.

وقيل لجنديّ: ما حدُّ الشِّبع ؟ قال: ما شدَّ العَضُدَ، وأَحْمى الظَّهر، وأدرَّ الوريد، وزادَ في الشَّجاعة.

وقيل لزاهد: ما حدُّ الشِّبع؟ قال: ما لم يحل بينك وبين صوم النهار وقيام اللَّيل، وإذا شكا إليك جائعٌ عرَفْتَ صِدقَه لإحساسك به.

وقيل لمدنيٍّ: ما حدُّ الشِّبَع؟ فقال: لا عَهْدَ لي به، فكيف أصِفُ ما لا أعرف؟

وقيل ليَمَني: ما حدُّ الشِّبَع؟ قال: أن يُحْشَى حتى يُخْشَى.

وقيل لتركي: ما حدُّ الشِّبَع؟ قال: أن تأكل حتى تَدْنُوَ من الموت.

وقيل لِسِمّويْه القاصّ: من أفضل الشهداء؟ قال: من مات بالتُّخَمَة، ودُفِنَ عَلَى الهَيْضَة.

قيل لسَمرقَنْدِيّ: ما حدُّ الشِّبَع؟ قال: إذا جَحَظَتْ عَيْناك، وبَكِمَ لِسانُك، وثَقُلَتْ حَرَكَتُك، وارْجَحَنَّ بدنُك، وزال عقلك؛ فأنت في أوائل الشِّبَع. قيل له: إذا كان هذا أوله، فما آخرُه؟ قال: أن تَنْشَقَّ نِصْفَيْنِ.

صديقان مسافران

ضَمَّ عثمانَ بن رواح السَّفرُ ورفيقاً له، فقال له الرَّفيق: امضِ إلى السُّوق، فاشتر لنا لحماً. قال: والله ما أَقْدِر. قال: فمضى الرفيقُ واشترى اللحمَ، ثم قال لعثمان: قُم الآن فاطبُخ القِدْر. قال: والله ما أقدر. فطبخها الرفيق، ثم قال: قم الآن فاثرُد[62]. قال: والله إني لأعجزُ عن ذلك. فَثَرَدَ الرّفيق، ثم قال: قم الآن فكُلْ. فقال: والله لقد اسْتَحْيَيْتُ من كثرةِ خلافي عليك، ولولا ذلك ما فَعلْت.

لا زالت نعم الله عليك

ذكر الأصمعيُّ أن أعرابيًّا خرج في سفر ومعه جماعة، فأرْمَلَ[63] بعضهم من الزاد، وحضر وقت الغداء، وجعل بعضهم ينتظر بعضاً بالغداء، فلمّا أبطأ ذلك عليهم، عَمَدَ بعضهم إلى زاده فألقاه بين يدي القوم، فأقبلوا يأكلون، وجلس صاحبُ الزادِ بعيداً للتَّوْفِيرِ عليهم، فصاح به أعرابي: يا سُؤدَدَاه[64]! وهل شرفٌ أفضلُ من إطعام الطعام، والإيثار به في وقت الحاجة إليه ؟ لقد آثرتَ في مَخْمَصَةٍ[65] ويوم مَسغَبة، وتفرَّدْتَ بمكرمةٍ قَعَدَ عنها من أرى من نُظرائك، فلا زالت نِعَمُ الله عليك غاديةً ورائحة.

الغواصة والردّادتان

وقال ابن الجصّاص الصُّوفيّ: دخلت على أحمد بن رَوْحٍ الأهوازيِّ، فقال: ما تقول في صحفةِ[66] أرز مطبوخ، فيها نهرٌ من سمنٍ، على حافاتها كثبانٌ من السُّكر المَنْخول؟ فدمعت عيني، فقال: ما لكً؟ قلت: أبكي شوقاً إليه، جعلنا الله وإياك من الواردين عليها بالغَوَّاصة والرَّدادَتَيْن. فقال لي: ما الغوّاصة والردّادتان؟ قلت: الغَوَّاصة الإبهام، والرَّدَّادتان: السَّبَّابةُ والوُسْطَى. فقال: أحسنتَ، بارك الله عليك.

الجواب الحاضر

حُدِّثْتُ أنَّ رجلاً أتى الزُّهْرِيَّ فسأله أن يحدِّثه ويروي له، فأبى عليه، فقال له الرجل: إنَّ الله لم يأخذ الميثاق على الجُهّال أن يَتَعَلَّمُوا، حتى أخَذَ الميثاق على العلماءِ أن يُعَلِّمُوا، فقال: صَدَقْتَ. وحَدَّثَه.

وحدَّثنا القاضي أبو حامِد المَرْوَرُوذِيّ؛ قال: وقف سائلٌ من هؤلاء الأنكاد علينا في جامع البصرةِ، وفي المجلس ابنُ عَبْدَلٍ المنصوريّ، وابن معروف، وأبو تمام الزَّيْنَبيّ، فسَأَل وألحَّ، فقلت له من بين الجماعة، وقد ضجرت من إلحاحه وصفاقةِ وَجهِه: يا هذا، نزلت بوادٍ غير ذي زرعٍ. قال: صدقت، ولكن يُجْبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ! فضحكت الجماعة، ووهبنا له الدراهم.

وقال المدائنيّ: قبض كسرى أرضاً لرجل من الدَّهَاقِين[67]، وأَقْطَعَها البَحْرجان[68]، فقدِم صاحب الأرض مُتَظَلِّماً، فأقام بباب كسرى، فركب كسرى يوماً، فَقَعَدَ لهُ الرَّجل على طريقه يُكَلِّمُه، فلما حاذاهُ شدَّ عليه حتى صَكَّ بصَدْرِهِ رُكبَتَه، ووضع يده على فخده، فوقف له كسرى وكلَّمهُ، فقال له: أرضٌ كانت لأجدَادي، وَرِثْتُها من آبائي، قبضتها فأقطعتها البحرجان؟ ارددها عليَّ. فقال له كسرى: مُذ كم هذه الأرض في أيدِي أجدادك وآبائك؟ فذكر دهراً طويلاً، فقال له كسرى: والله لقد أَكَلْتُمُوها دهراً طويلاً، فما عليك في أن تدعها في يد البحرجان عاريةً سُنَيَّاتٍ؛ يستمتع بها ثم يردّها عليك. فقال: أيّها الملك، قد علمتَ حُسْنَ بَلاءِ بَهْرَام جور في طاعتكم ـ أهلَ البيت ـ وما كفاكم من حَدِّ عدوِّكم، ودفعه عنكم كيد الترك، وحسن بلاءِ آبائه قبل ذلك في طاعة آبائك، فما كان عليك لو أعرته مُلْكَكَ سُنَيَّاتٍ؛ يستمتع به ثم يردُّه إليك؟ فقال كسرى: يا بَحْرَجان، أنت رَمَيْتَني بهذا السَّهم، اردُدْ عليه أَرْضَهُ. فردَّها.

وقال الوزير ليلةً: يعجبني الجوابُ الحاضر، واللفظ النادر، والإشارة الحُلْوَة، والحركة الرَّضِيَّة، والنَّغْمَةُ المُتَوَسِّطة، لا نازلةً إلى قَعْرِ الحَلْق، ولا طافحةً على الشفة.

وقال: مرَّ الفرزدق بخالد بن صفوان بن الأهتم، فقال له خالد: يا أبا فراس، ما أنت الذي لمّا رأينهُ أَكْبَرْنَهُ وقطّعن أيدِيَهُنّ، فقال له الفرزدق: ولا أنت الذي قالت الفتاة لأبيها فيه: "يا أبتِ استأجره إنَّ خير من استَأجَرْتَ القويُّ الأمينُ".

وقال عبَّاد بن زياد: كنتُ عند عبد الملك بن مروان إذ أتاه أبو يوسف حاجبُهُ، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه بُثَيْنَة. قال: أبُثَيْنَةُ جميل؟ قال: نعم، قال: أدخلها، فدخلت امرأةٌ أدماء[69] طويلةٌ يُعْلَم أنَّها كانت جميلة، فقال له يا أبا يوسف ألقِ لها كُرْسِيًّا، فألقاه لها، فقال لها عبدُ المَلِك، ويحَكِ ما رَجَا مِنك جَميل، قالت: الذي رَجَت مِنْكَ الأمَّةُ حين ولَّتك أمْرَها.



1. الراجح أنه يريد أبا زيد أحمد بن سهل البلخي، مات سنة 322 هـ. ↑

2. الغِثات: مفردها غث؛ وهو الرديء من كل شيء. ↑

3. الزهر: المضيئة. ↑

4. الفاره من الدواب: النشيط الحاد القوي. ↑

5. أجمناه: أي كرهناه ومللناه من المداومة عليه. ↑

6. الرَّوح والجَمام: الرّاحة. ↑

7. تماكسا: أي تشاحّا في الأجرة. ↑

8. وجب: سقط إلى الأرض. ↑

9. أقعرهم: أعمقهم. ↑

10. الغُرر: مفردها غُرَّة، وغرة المتاع: خياره ورأسه. ↑

11. غائمته: سحابته، والمعنى القريحة أيضاً. ↑

12. مبدِّد: مفرِّط، مُندِّد: يصرح بالعيوب. ↑

13. يزيد في الرقم: أي يزيد في حديثه ويكذب. ويريد بالزيادة في السوم: المغالاة. ↑

14. مح البال: أي خالصه. ↑

15. الدانق: سدس الدرهم. والقيراط: نصف دانق. والحبة: وزن شعيرتين. والطسوج: ربع دانق. ↑

16. ردع: أثر الطيب في الجسد. ↑

17. الزنبرية: السفينة، يعبر عليها السالكون. ↑

18. الشعبذة والشعوذة: واحد، وهي أُخَذٌ كالسحر، تُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. ↑

19. هاملة: أي مهملة. ↑

20. امتقع: تغيَّر لونه. ↑

21. وسموا: وضعوا لكل شيء علامة. ↑

22. الأنواء: النجوم. ↑

23. فجّ: طريق واسع بين جبلين. ↑

24. النحائز: العادات والطبائع، الواحدة نحيزة. ↑

25. الصَّبوح: شرب الخمر في الغداة. ↑

26. الغَبوق: شرب الخمر في العشي. ↑

27. سبلنا: طرقنا. ↑

28. التنجيم: أي إعطاؤه له على دفعات. ↑

29. يغلُّ: يخون. ↑

30. متقعِّراً: متشدِّقاً في كلامه. ↑

31. القيِّم: سائس الأمر، وهو هنا المسؤول عن الحمام. ↑

32. الضويطة: الحمأة والطين. والإخفيق: الشق في الأرض. فلعله أراد الجليدة التي يُزال بها الوسخ من الجسد (مجازاً). ↑

33. النُّورة: الحجر الذي يحرق، ويُسوَّى منه الكلس، ويحلق به الشعر. ↑

34. أبرمني: أضجرني وأَمَلّني. ↑

35. تعمل إليَّ ركابك: أي ترتحل إليَّ. ↑

36. وجأ: لكز. ↑

37. متع النهار: ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال. ↑

38. عيبة: وعاء من أدم أو جلد يكون فيه المتاع، والجمع عِياب وعيَب. ↑

39. زبالة: بلد بالطريق من الكوفة إلى مكة. ↑

40. نفحة: عطيّة. ↑

41. نمارس: ندلك أو نعجنه بالماء. ↑

42. الملك: إنعام العجن. ↑

43. الحراق: ما تقع فيه النار عند اقتداحها من خرق ونحوها. ↑

44. قد استظهرناه: أي حملناه معنا فوق أظهرنا. ↑

45. طاوين: جائعين. ↑

46. الكمد: العبوس. ↑

47. جي: مدينة بناحية أصبهان، تسمى الآن شهرستان، وكان لليهود محلة في طرفها. ↑

48. ظلع: عرج وغمز في المشيه. ↑

49. أشفى: أوشك. ↑

50. الجبلة: الطبيعة والأصل. ↑

51. سياق الكلام يفيد أن الثاني قال مثلما قال الأول، وبعث بالشاة إلى أخ ثالث، وحذف ذلك للعلم به ↑

52. فَرَقاً: جزعاً. ↑

53. ينزو: يقفز. ↑

54. السكباجة: مرق يصنع من اللحم والخل. ↑

55. الدستجة: إناء كبير من زجاج. ↑

56. قلية جزورية: مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها. والجزور: الناقة. ↑

57. النقل: ما يصاحب الشراب من فواكه ومخللات وغيرها. ↑

58. الحِوايا: الأمعاء. ↑

59. النّهس: القبض على اللحم ونتفه. ↑

60. الهيضة: انطلاق البطن؛ أي أن به قُياء. ↑

61. يقرم: يشتهي الأكل. ↑

62. اثرد: فتت الخبز. ↑

63. أرمل من الزاد: فرغ ما عنده منه. ↑

64. السؤدد: الشرف والسيادة. ↑

65. المخمصة: المجاعة أو الجوع. ↑

66. صحفة: آنية كالقصعة. ↑

67. الدهاقين: مفردها دهقان؛ وهو التاجر. ↑

68. يريد بالبحرجان هنا صاحب سفن كسرى ورئيس الملاحين، وهي كلمة فارسية معناها النوتي. ↑

69. أدماء: سمراء. ↑

Table of Contents